الأدب الشعبي المغاربي والدراسات النقدية

د. صالح جديد
جامعة الطارف

الملخص: تحاول هذه الدراسة مقاربة الأدب الشعبي المغاربي من حيث الدراسات النقدية والأكاديمية التي تعرضت له بالبحث والتحليل والجمع والتأليف، وهي وإن كانت موجزة في شكلها إلا أنها شاملة في مضمونها لأهم ما تناول أدبنا الشعبي المغاربي، وقد انطلقنا في دراستنا من إشكالية: هل يمكننا الحديث فعلا عن أدب شعبي مغاربيا متميزا في شكله ومضمونه عن الأدب الشعبي العربي والغربي؟ أم أن المسألة كلها تكمن في تلك اللهجات/ اللغات/ والمسميات التي تنتج من البيئة المغاربية؟ إن محاولة الإجابة عن هذه الإشكالية فرضت علينا تتبع أهم خصائص ومميزات الأدب الشعبي في بلاد المغرب العربي.

توطئة: ليس من الجديد أن نتحدث عن الأدب الشعبي المغاربي بصورة عامة، ولكن الجديد أن نتحدث عنه من باب البحث في التضافر الحكائي بين مرويات ومدونات شعبية نسمعها ، أو نقرؤها بين الفينة والأخرى من خارج حدودنا الجغرافية فنشعر حينها بنوع من التقارب الجماهيري في كيفية وطرق التعبير عن همومنا وآمالنا المكدسة في ماضينا منذ فجر التاريخ، ذلك أن المغرب العربي ليس الأرض وفقط وإنما هو البشر والتاريخ والحضارة، إنه الماضي والحاضر والمستقبل، إن المغرب العربي هو ذلكم الرصيد الثقافي والحضاري، وهو تلكم الخبرة والتجربة الإنسانية التي " تضافرت في تكوينها ديناميات الانتماء إلى الدين والتاريخ المشترك، والتطور ضمن مجتمعات تحكمها مقومات الوحدة والتماثل أكثر من مظاهر الفرقة والتباين "[1]، ولأننا نؤمن بأحقية الأدب الشعبي في الدخول إلى عالم الفكر بأبعاده الفلسفية والاجتماعية والأنثروبولوجية جاءت هذه الدراسة لتبحث في العمق الابستمولوجي للأدب الشعبي المغاربي من باب ما ألف حوله من دراسات نقدية أكاديمية أو غير أكاديمية، متوخين في ذلك الأحكام المسبقة والعامة.

فدراسة الأدب الشعبي المغاربي ضمن هذه المتغيرات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية أصبحت أكثر من ضرورة إذا ما أردنا فعلا تحقيق تقاربا سياسيا واقتصاديا ومعرفيا بين بلدان مغربنا العربي.

1- التقارب في الأدب الشعبي المغاربي مظاهره وأسبابه:

إنه من الصعوبة أن نغوص في الحقب الزمنية العريقة والموغلة في الزمن وأن نتحدث عنها بنوع من التفصيل والتفسير؛ لأن مثل هذا العمل يتطلب من الباحث الفرد وقتا طويلا وعملا متواصلا ، وقد لا يتحقق له ذلك، وإنما هو عمل جماعة من الباحثين، أو عمل هيئة رسمية تعمل على مثل هذا مشروع، ولكي لا نطيل في الكلام فإننا في فكرة الأدب الشعبي المغاربي نتساءل هل هناك أدب شعبي مغاربي فعلا؟ بمعنى هل هناك أدب شعبي مغاربي موحد؟ وهل يمكننا أن نتحدث في الأدب الشعبي العام من حيث المفهوم والخصائص والأشكال عن الأدب الشعبي المغاربي؟ نسوق لتقريب القضية مثالا مدرك ومحسوس وواقع متعامل معه في أدبنا الرسمي ؛إنه الأدب المغاربي والأندلسي فلنتأمل المقررات الجامعية ونحكم بعد ذلك عن أي أدب مغاربي نتحدث ؟ الأكيد أننا سنجد المقررات تتحدث عن الأدب المغاربي في العهود القديمة أما في العصر الحديث والمعاصر فتكاد لا تذكر حتى أننا ما نعرفه عن أدبنا المغاربي المعاصر لا يتجاوز نماذج من الأدبين التونسي والمغربي ولا نكاد نعرف شيئا عن الأدب الموريتاني والليبي، فإذا كان الأمر مع الأدب الرسمي على هذه الصورة فما بالك بالأدب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعبي الذي تتعامل معه الدوائر الرسمية من مؤسسات وأفراد تعاملا انتقائيا وتمييزيا بين القبول والرفض، وبين الاعتراف والإنكار.

إن الأدب الشعبي المغاربي هو تلك النصوص الأدبية الشعبية التي أنتجتها المخيلة الشعبية المغاربية مستقية مضامين نصوصها من مشارب تاريخية وأدبية ودينية وأسطورية توارثها أهالي المغرب العربي عربا وبربرا، إنه أدب تضافرت وتداخلت فيه الطموحات والآمال مع الآلام والهموم فأنتجت نصوصا شعبية بين النثر والشعر، بين الحكاية والقصة، والسيرة والملحمة، بين الشعر الغنائي والبطولي، إنه أدب كما توجه للكبار من الرجال والنساء توجه كذلك للصغار من البنين والبنات غير مختلف في شكله وسرده وقضاياه عن الأدب الشعبي المحلي- الخاص بقطر واحد بعينه-والعربي " يسمي المجتمع التقليدي في المغرب العربي الحكاية الخرافية باللهجة العربية الدارجة حجاية وخرافة وخريفية، وبالأمازيغية أماشهوس "[2]، هذا النص يبين لنا بوضوح التوحد في مصطلح من مصطلحات أشكال التعبير الشعبي في المغرب العربي بين الناطقين بالعربية والناطقين بالأمازيغية، وهذا التقارب سببه في اعتقادنا التوحد في مشارب الثقافة المشكلة لسكان المغرب العربي من ناحية ومن ناحية أخرى الالتحام الجغرافي لبلدان المغرب العربي حيث الحدود متصلة بريا ببعضها البعض، وكذلك الاتحاد المجتمعي من خلال علاقات المصاهرة والمجاورة والولاء القبلي أو العروشي - نسبة للعرش-، فالانتماء المشترك لشعوب المغرب العربي عبر العصور المتتالية دعمته تلك " الممارسات والمعتقدات وما يرافقها من طبائع وسلوك تتحقق أشكال العلاقة الاجتماعية، وتتكامل حلقات التكوين البنائي للبنية البشرية المتصلة اتصالا مباشرا بالمجتمع "[3].

إذن التقارب والتشابه بين المصطلحات في بلدان المغرب العربي تربطه عدة عوامل منها المادية ومنها غير المادية، وذلك التقارب ولد بالتأكيد تقاربا وتوحدا في النصوص وفي مضامينها، ولعل من أسباب هذا التقارب إضافة لما سلف ذكره الرحلات المتنوعة بين أهالي المنطقة سواء للتجارة أو السياحة أو التعلم..الخ، كما نجد أسبابا ترجع للحروب القبلية على الحدود ومنابع الماء والمراعي، أو استعمارية خارجية كل هذه العوامل وغيرها حتما ساهمت في تقارب الأدب الشعبي المغاربي من بعضه البعض فمثلا الحكاية الشعبية المشهورة عندنا في الجزائر باسم (بقرة اليتامى)، أو باسم (لونجة)، أو (عيشة وعلي)، أو (زوجة الأب الشريرة)، هي نفسها في تونس والمغرب الأقصى وليبيا وموريتانيا مع مراعاة بعض الاختلافات في التسمية أو في الجزئيات التي لا تؤثر في بنية الإطار العام للحكاية، وهذا ما يؤكد أن الأدب الشعبي المغاربي يمثل صوت الشعب في طموحاته وآماله، ويمثل هويته الموحدة والمشتركة منذ العهود القديمة إلى الفتح الإسلامي الذي زادها انصهارا واندماجا ليس فقط مغاربيا بل وعربيا وعالميا " والأدب الشعبي ليس ابن الجزيرة العربية وحدها، وإن كانت أصلا رئيسيا فيه، هو ابن المنطقة الإسلامية وكلها شاركت في صنعه وحملت إليه كل معطياتها القديمة مع ما حملت إليه من وجودها البشري وكيانها الجغرافي ومعطياتها الثقافية والعلمية والاجتماعية الأخرى"[4]، ولكن هناك من الباحثين من يربط الأدب الشعبي المغاربي بأرضه وشعبه ولا يراه وافدا ولا دخيلا، كما أن الأدب الشعبي المغاربي ظل لوقت قريب جدا متداخلا ومتداولا بين شعوب المنطقة " والتراث الشعبي المغاربي يزخر بعدد هائل من الموروث الثقافي الجمعي الذي كان متداولا إلى وقت قريب، وبخاصة قبيل استقلال شعوب هذه المنطقة، وذلك أن ما حدث من تغير عقب الاستقلال قد أثر تأثيرا سلبيا على مختلف موروثاتنا الشعبية، وكأن لكل ما هو ماض يجب أن يزول إلى سلة المهملات، أو كأن الاستقلال يعني التخلص من كل ما هو ماض، وأن هذا الماضي هو التخلف وهو البدائية، وهو عكس التطور والتقدم والحضارة"[5]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- الأدب الشعبي ناطقا باسم الشعب:

يمثل الأدب الشعبي صوت الشعب وهو ضميره والمفصح عن هويته وطموحاته وآماله وآلامه التي يختزنها الضمير الجمعي وتبرزها مختلف أشكال التعبير الشعبي شعرا ونثرا، ولقد جاء في تعريف الأدب الشعبي ما يوحي بهذا المعنى ويؤكده: " الأدب الشعبي فهو ينبع من الوعي واللاشعور الجمعي"[6]، وعرف كذلك بما يلي: " الأدب الشعبي ينبعث من عمل أجيال عديدة من البشرية، من ضرورات حياتها وعلاقاتها من أفراحها وأحزانها،وأما أساسه العريض فقريب من الأرض التي تشقها الفئوس، وأما شكله النهائي فمن صنع الجماهير المغمورة المجهولة أولئك الذين يعيشون لصق الواقع"[7]، إننا نستشف من خلال هذا التعريف للأدب الشعبي جملة من القضايا أهمها: أن الأدب الشعبي هو إبداع أجيال متعددة من البشرية فهو ليس حكرا ولا ملكا لمجتمع دون آخر بل هو ملك للإنسانية جمعاء، ومن القضايا أن الأدب الشعبي لصيق الحياة اليومية للإنسان؛ فهو الذي يبرز في حالات السعادة والحزن، وفي حالات الغنى والفقر، وفي حالات الفردية والجماعية، ومن القضايا ارتباط الأدب الشعبي بواقع الناس بعيدا عن عالم المثل وقد عبر عنه التعريف بقوله قريب من الأرض، والقضية الأخيرة التي نستخلصها من التعريف الحديث عن المبدع الحقيقي لنصوص الأدب الشعبي، إنه جماهير الناس، العامة الذين هم لصقي الواقع؛ إنها الفئة الكادحة التي لا تذكر في الرسميات ولكنها تبدع في صناعة الحياة، فمثل هذه التعريفات وغيرها تبين مما لا يدعو مجالا للشك بالصلة الوثيقة بين الشعب في عموم مكوناته وطبقاته والأدب الشعبي، ولما كانت الصلة وثيقة والعلاقة رحمية بينهما فقد مثل الأدب الشعبي الهوية في أبهى وأجل صورها، وفي أدبنا الشعبي المغاربي نجد صوتين وهويتين كل منهما مندمج ومنصهر في الآخر معطيا صوتا واحدا وهوية واحدة؛ هي ملامح وحدة ثقافة مجتمع منطقة المغرب العربي، والمراد بالصوتين قبل الاندماج: الصوت الأمازيغي والصوت العربي، والمراد بالهويتين قبل الانصهار والتوحد: الهوية الأمازيغية والهوية العربية، ليكون ناتجهما صوت وهوية المغرب العربي، ولتوسع في المجال التاريخي يرجى العودة لكتاب العبر للعلامة ابن خلدون وكتاب الإدريسي وصف إفريقية الشمالية والصحراوية، وكتاب ابن عذارى البيان المغرب في أخبار المغرب...، وغيرها من المصادر الهامة التي تحدثت عن المغرب من العهود الأمازيغية إلى الفتح الإسلامي.

فالهوية المغاربية نجدها حاضرة في أدب السيرة الشعبية وبخاصة في السيرة الهلالية فبقدر ما حافظ الراوي الشعبي على ملامحها المشرقية إلا أن دخول الهلالية للمغرب العربي جعلت لها قصصا وشخصيات وأماكن وأزمنة مغاربية واضحة الملامح دالة الهوية على الانتماء لهذه الأرض، وكذلك الأمر مع سيرة الإمام علي بن أبي طالب، والأمر نفسه مع الحكايات الشعبية الخرافية وغير الخرافية، وكذلك الأمثال، والألغاز، والشعر الشعبي- بخصوص الشعر الشعبي ينظر الكتاب القيم للمرزوقي- فهذه الأشكال التعبيرية الشعبية المتنوعة حافظت على الهوية العربية،ومن منا لا يعرف حفظا أو قراءة لرباعيات المجذوب، هذا الشاعر الحكيم المغربي الذي لم يبق حبيس القطر المغربي بل امتد جغرافيا بفضل نصوصه في أرض الجزائر وتونس وليبيا،كما ساهمت الأساطير والحكايات الشعبية الخرافية وغيرها والشعر الشعبي الأمازيغي في المحافظة على الهوية المغاربية الأمازيغية.

وما نسجله في هنا أن المناطق التي غلب عليها اللسان العربي قامت بتعريب النصوص الشعبية وتحوير مضامينها بما يتماشى والثقافة والهوية العربية ذات البعد الإسلامي، أما المناطق التي لسانها أمازيغي فهي أيضا عملت على ترجمة تلك النصوص الشعبية للغتها المحلية، مظهرة بذلك انصهارا حضاريا قلما نظيره في تاريخ الحضارات القديمة والحديثة، وعلى كل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمنطقة المغرب العربي حباها الله تعالى إضافة إلى هذا التنوع العرقي والاجتماعي تنوعا آخر في الطبيعة والثقافية في العادات والتقاليد " متميز بتراثه المتنوع والغني،وبذاكرته الشعبية الممتدة في جذور تاريخ المنطقة، وفوق هذا وهب الله هذه المنطقة من العالم طبيعة جميلة وفاتنة تجمع بين الصحراء الممتدة جنوبا والجبال والسهول العليا الفاصلة بين عالمين طبيعيين مختلفين يشكلان الفضاء المغاربي"(8)

وبعد هذا الطرح يحق لنا أن نطرح هذه الأسئلة المعرفية: هل هناك فعلا أدب شعبي مغاربي؟ ما هي مظاهر التشابه والاختلاف بين إبداعات شعوب المغرب العربي؟ وهل نحن بصدد بحث أدب شعبي عربي أم أمازيغي؟ أم عنهما معا؟ ما هي أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغاربي؟ وما هي الخصائص الفنية واللغوية لها؟ وغيرها من الأسئلة التي تبدو في ظاهرها للبعض سطحية أو كافية ولكنها لنا تمثل أبواب الدخول للأدب الشعبي المغاربي من حيث: المصطلح والمفهوم، التاريخ، الأشكال، الخصائص.

الأدب الشعبي المغاربي ليس ذلكم الأدب الذي يخضع للتقسيم السياسي والجغرافي لبلدان المنطقة(الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا، موريتانيا)، وإنما هو الأدب الذي أنتجته شعوب المنطقة منذ الأزمنة السحيقة ومازال متداولا بين الأجيال المتتابعة مع إخضاع بعض مضامينه للخصوصية الثقافية والاجتماعية والدينية لكل بلد، فهو إذن عريق في وجوده مستمر في عطائه، مقرب لشعوب المنطقة وبخاصة تلك المتجاورة جغرافيا والمتصلة ببعضها بالمصاهرة والتجارة وغيرها من الطرق والسبل، فالسيرة الهلالية معروفة ومنتشرة بين سكان المغرب العربي- تونس، الجزائر، ليبيا- على وجه الخصوص بحكم خضوعهم للهلاليين مدة من الزمن،كما نجد المغازي والفتوحات تمثل قاسما مشتركا كذلك بين المغاربة،كما يلاحظ المتتبع اشتراك المغاربة في كثير من الحكايات الشعبية والخرافية والأمثال والأحاجي والألغاز، وفي الشعر الشعبي والملحون نجد تقاربا كبيرا وبخاصة في الشعر الجمعي النسوي مثل البوقالة المعروفة في المغرب الأوسط والتي هي الحوفي عند أهل تلمسان و فاس، ولعل شعر عبد الرحمان المجذوب واحد من أكبر المعالم الثقافية المشتركة بين سكان المغرب العربي وبخاصة الجزائر وتونس والمغرب،كما يشترك سكان المغرب العربي في الأدب الشعبي العربي كقصص ألف ليلة وليلة ،ونوادر جحا، وفي السير الشعبية كسيرة عنترة بن شداد، وسيرة سيف بن ذي يزن، وبعض الأمثال والألغاز والحكم الشعبية العربية.

3- الأدب الشعبي المغاربي وإشكالية الدراسات النقدية:

لو أردنا إعداد بيبلوغرافيا للأدب الشعبي المغاربي إبداعا لعجزنا في إحصاء وتدوين كل ما تم إنجازه من قبل الأسلاف وحتى التابعين في مختلف العصور والأشكال التعبيرية المشكلة للأدب الشعبي من مثل: الحكاية الشعبية،ا لحكاية الخرافية، الأسطورة، الشعر، اللغز، المثل، الحكمة، السيرة الشعبية، أدب المغازي الأغاني...الخ فأمام هذا الكم الهائل من الأشكال والنصوص نجد أنفسنا عاجزين عن إنجاز دراسات نقدية وأكاديمية تلبي حاجة الباحثين والمهتمين وتدعم مترلة ومكانة الأدب الشعبي المغاربي، وما نجده من دراسات وأبحاث يقوم أساسا على قطر واحد فالباحث الجزائري يتوجه مباشرة للأدب الشعبي الجزائري، وقل مثل ذلك للتونسي والمغربي، والليبي، والموريتاني، وفي أحسن الأحوال نجد دراسة تمتد في تغطيتها لقطرين اثنين متجاورين وهي قليلة ولا تكاد تذكر مقارنة مع النوع الأول من الدراسات، فالجهود وإن كانت قيمة ولا يستهان بها إلا أنها لا تؤسس لدراسات عميقة لأدبنا الشعبي المغاربي، ولقد أورد الدكتور عبد الحميد بورايو في كتابه: في الثقافة الشعبية الجزائرية- التاريخ والقضايا والتجليات- أسماء أهم رواد الدراسات الشعبية المغاربية من مثل:محمد بن أبي شنب الجزائري، وعثمان الكعاك التونسي، ومحمد الفاسي المغربي، حيث يقول عنهم: " لقد اضطلع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هؤلاء المثقفون بمهمة تأصيل البحث في مجال المأثورات الشعبية المغاربية من وجهة نظر وطنية متساوقة مع ظروف النهضة العربية الإسلامية كما عرفتها بلدان المغرب العربي منذ بداية القرن العشرين، لقد مثلت وجهة نظرهم موقفا نابعا من المجتمع الوطني المتمسك بهويته الحضارية والطامح للتحرر من هيمنة الثقافة الأجنبية ومما تطرحه من بدائل استعمارية تخص مسألة الموقف من التراث الشعبي المشترك للجماعات المغاربية"[9]، وقد ذكر أهم ما ألفه الرواد فمحمد بن شنب له كتاب الأمثال المغاربية، ومحمد الفاسي له كتاب حول تاريخ الشعر الملحون وأشكاله وطبوعه، أما عثمان الكعاك فله كتاب بعنوان التقاليد والعادات الشعبية، وللاستفادة أكثر حول هذا الموضوع يرجى أن ينظر كتاب الأستاذ الدكتور عبد الحميد بورايو المذكور أعلاه في الصفحات 94، 95، 96.

إن الأدب الشعبي المغاربي يتميز بصفتين قلما تحققا في غيره من الآداب، الصفة الأولى أنه يستقي مشاربه من الثقافة الأمازيغية بكل مكوناتها، وهذه الصفة تمثل خصوصية الهوية الجذرية والانتماء الأول، والصفة الثانية أنه يستقي مشاربه من الثقافة العربية الإسلامية وتمثل الهوية والانتماء الأشمل، والأدب الشعبي المغاربي يتميز كذلك بوفرة وتنوع أشكاله التعبيرية ونصوصه الإبداعية، كما نجد له خصلة قد تكون موجبة وجيدة لمن لهم باع في البحث والدراسة والتمرس في الفولكلور، حيث يمثل أرضا بكرا وخصبة لدراسته في إطاره المغاربي لا الوطني، وقد تكون خصلة سالبة لمن هم حديثي عهد بالدراسات الشعبية، ومن هنا نغتنم الفرصة لتوحيد الجهود بين الباحثين المغاربة وتبادل الخبرات والتجارب والأبحاث لبعث دراسات تهتم وتركز على الأدب الشعبي المغاربي وقد ينجح الجهد لو كان على شكل فريق بحث مختلط ومشترك بين باحثين من جامعات المغرب العربي، أو بين مخابر البحث المهتمة بالدراسات الشعبية المغاربية، فبمثل هذا العمل لن تذهب الجهود سدى ولن تبقى مجرد جهود فردية قد لا يتحقق لها النجاح المرجو.

إن جهود الرواد في الدراسات الشعبية المغاربية مثلت الأرضية الصلبة للأجيال الجديدة المهتمة بالأدب الشعبي عموما والمغاربي خصوصا، وقد سار البحث في هذا الميدان وفق مسارين نقديين لكل مسار منهما مناهجه ومنهجيته في البحث والدراسة، وسوف نصطلح على المسار الأول بمسار الأرضية الصلبة ونعني به تلك الدراسات التي قامت على منهج العمل الميداني حيث اكتفى أصحابها بجمع المادة الشعبية والعمل على تدوينها وقد تصاحبها بعض الشروح لمفردات غير معروفة إلا في لهجاتها الأصلية،كما عرفت هذه جمع المادة الشعبية من مختلف الأشكال التعبيرية في بلدان المغرب العربي سواء باللغة العربية الفصيحة أو باللهجة العربية أو الأمازيغية، ولا يخفى على أحد أن مثل هذه المدونات دفعت بحركة البحث والدراسات النقدية الشعبية دفعا مهما وبخاصة للباحثين الذين تحول الأسباب والظروف بينهم وبين المادة الشعبية.

إن مرحلة الأرضية الصلبة مرحلة تقليدية تتشابه فيها منهجية البحث والعمل ومع أهميتها إلا أنها لا تكشف عن القيمة الحقيقية للأدب الشعبي، فهي مرحلة التراكم لا التحليل والبناء العلمي للدراسات الشعبية.

أما المسار الثاني فنصطلح عليه مرحلة التجريب والتحليل وهي مرحلة مهمة جدا في حقل الدراسات الشعبية حيث أنها تهدف إلى إخراج الأدب الشعبي من مرحلة الأرضية الصلبة وهي مرحلة تقليدية كما قلنا لا تدفع بالبحث الشعبي إلى الغوص في خفايا وأعماق الأدب الشعبي وبالتالي الكشف عن العبقرية الشعبية والجمالية الفنية لتلك النصوص الشعبية.

ففي مرحلة التجريب والتحليل نجد المناهج الدراسية والنقدية تتعدد وتختلف بحسب المدارس والمذاهب النقدية والأدبية التي ينتمي إليها الدارس، كما أننا في هذه المرحلة نجد انفتاح النص الشعبي على أكثر من منهج نقدي يتراوح ما بين المناهج التقليدية كالمنهج الوظيفي، أو المنهج الوظائفي، أو المنهج التاريخي، أو منهج الاستعارة، وبين المناهج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحداثية\النصية\، والتي تعود أصولها للدرس النقدي اللساني أو البنيوي، أو ما بعد البنيوي،كالسيميائية، والتفكيكية، وتحليل الخطاب، والشعرية...الخ، فلم تعد مثل هذه المناهج حكرا على الأدب الرسمي ولا على النقد الرسمي بل دخلت مجال الأدب الشعبي والنقد والدراسات الشعبية لتعطيه صبغة علمية وأكثر قابلية عند الباحثين والمثقفين عموما.

فالنصوص الشعبية المغاربية -التي خرجت للضوء من خلال تلك الدراسات النقدية سواء التي تمت بالمناهج السياقية أو بالمناهج النصية، والتي تمت من خلال المؤلفات الأكاديمية كالرسائل والأطروحات الجامعية أو من خلال المقالات والدراسات التي أنجزت بمعزل عن الأكاديمية_، تمثل صورة صادقة لحياة الشعوب في ممارساتها اليومية، وهي كذلك الروح الحقة لتلك الشعوب بعيدا عن كل تكاليف الحياة وعن مظاهر التكلف والرسميات.

إن الحركة النقدية المغاربية المتعلقة بالأدب الشعبي مقارنة بمثيلتها المتعلقة بالأدب الفصيح متأخرة جدا ولا تكاد تظهر المؤلفات النقدية في المكتبات العامة أو في المعارض الوطنية أو الدولية، إن هذا النقص والعزوف عن الدراسات النقدية الموجهة للأدب الشعبي يرسخ ثقافة التهميش والظل التي تمارس على الأدب الشعبي، ولتخطي هذه الوضعية المزرية وجب الاهتمام بالتأليف النقدي حول الأدب الشعبي، ونحن هنا لا نعني المؤلفات التي تهتم بالتعريفات والأنواع والخصائص، فتلك كتب عامة وإنما نعني الكتب النقدية وفق المناهج النقدية السياقية والنصية، سواء منها ما ينتمي لحقل الدراسات الشعبية أو الدراسات النقدية بصفة عامة.

الخاتمة:

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى أن الأدب الشعبي المغاربي لم يقف عند حدود الجغرافيا بل تجاوزها محدثا بذلك تقاربا وتوحدا وانسجاما بين شعوب المغرب العربي، ولقد خطى الأدب الشعبي المغاربي خطوات جبارة في مساره الأول - الأرض الصلبة - ولكن خطاه في المسار الثاني لازالت غير كافية، ومن هنا نؤكد على ضرورة ضبط المسائل المعرفية التالية لنصل إلى ما نطمح إليه في قضية مشروع مدونة الأدب الشعبي المغاربي، فمن المسائل الواجب ضبطها:

1- تحديد مصطلح الأدب الشعبي المغاربي، وهل نعني به الأدب الشعبي المغاربي المنطوق/ المكتوب/ بالعربية، أو نعني به الأدب الشعبي المغاربي المنطوق/ المكتوب/ بالأمازيغية، أو بهما معا؟
2- ضبط وحصر أشكال التعبير في أدبنا الشعبي المغاربي الأمازيغي والعربي.
3- ضبط وحصر النصوص الأدبية الشعبية المغاربية جمعا ومقارنة.
4- رسم مخططا مغاربيا لدراسة الأدب الشعبي المغاربي وفق المناهج النقدية والنظريات المعرفية الحديثة.
5- إنجاز أطلس الأدب الشعبي المغاربي.
6- تبادل الدراسات والأبحاث بين الأكاديميين والجامعيين المغاربة في حقل الدراسات الشعبية.
7- إنجاز موقعا إلكترونيا يجمع كل النصوص الشعبية المغاربية، تتيح وتسهل الفرصة للباحثين.
8- تشجيع التبادلات العلمية بين الباحثين من أساتذة وطلبة في إطار مؤسساتي ترعاه الجامعات أو مخابر البحث وذلك وفق عقود الشراكة بين دول إتحاد المغرب العربي.

إننا على يقين لو حققنا بعضا من هذه المسائل استطعنا أن نقدم خدمة جليلة لتقدم أدبنا الشعبي المغاربي ولقدمناه لغيرنا من الأمم والأجيال في صورته التي تليق به.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هوامش ومراجع الدراسة:

1 - محمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان،ط2، 1994،ص:20

2- عبد الحميد بورايو: الحكايات الخرافية للمغرب العربي ، دراسة في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، دار الطليعة بيروت لبنان، ط1 ،1992، ص:07

3– فوزي حمودي القيسي: البطل في التراث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد العراق، د ط، 1988، ص:20

4-فاروق خورشيد: عالم الأدب الشعبي العجيب،دار الشروق،مصر،ط1 ،1991،الغلاف الخلفي للكتاب

5- عبد القادر خليفي: من الموروث الثقافي الجمعي المغاربي_ منطقة عين الصفراء نموذجا_ دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د ط، 2006، ص:20

6 - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب، مصر، ط3 مزيدة ومنقحة، د ت، ص:03

7 - أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 2002، ص:19

8 - عبد القادر شرشار: بناء الآخر والهناك في الرواية العربية المغاربية البحث عن الفردوس المفقود،مجلة دراسات جزائرية،دورية محكمة يصدرها مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر،جامعة وهران،عدد4+5 سنة2007،ص:119،118

9 -عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات،فيسيرا للنشر، الجزائر، ط1 ،2011، ص:95،94.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com